# سُنَنُ التَّمْكِيْنِ وَالاسْتِبْدَالِ
## مَنْطِقُ القُرْآنِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيْلَ

◆ د. سجاد هادي العنبكي[1]

■ **خلاصة**

تسلّط الدراسة الضوء على أهمّ السُنن الإلهيَّة الحاكمة على حركة التاريخ والمجتمعات في المنظور القرآني، وهما (سُنَّة التمكين) و(سُنَّة الاستبدال)، متَّخذة من النموذج الإسرائيلي ميدانًا تحليليًّا. يهدف البحث إلى استجلاء المنطق القرآني في التعامل مع بني إسرائيل باعتبارهم حالة دراسيَّة تجسّدت فيها أطوار الصعود الحضاري (التمكين)، ثمَّ السقوط والتدنيّ (الاستبدال).

تبدأ الدراسة بتأصيل مفهومي للسُنن الإلهيَّة، مبرزةً الفروق الجوهريَّة بين التمكين بوصفه اختبارًا والتمكين بوصفه جزاءً، ثمَّ تنتقل إلى تحليل المحطَّات التاريخيَّة التي مكَّن الله فيها لبني إسرائيل، وكيف تحوَّل هذا التمكين إلى أداة لابتلاء إيمانهم وصبرهم. كما تسلّط الدراسة الضوء على مفهوم (الاستبدال) بوصفه قانونًا صارمًا لا يحابي جنسًا ولا عرقًا، مستعرضةً الأسباب الموضوعيَّة والعلل السلوكيَّة التي أدَّت إلى سلب الريادة من بني إسرائيل ونقلها إلى الأُمَّة الإسلاميَّة. وتخلص الدراسة إلى أنَّ المنطق القرآني في عرض قصَّة بني إسرائيل لم يكن مجرَّد سرد تاريخي، بل هو تحذير منهجي للأُمَّة الإسلاميَّة من مغبَّة السقوط في العلل ذاتها التي استوجبت الاستبدال، مؤكِّدة على أنَّ البقاء في دائرة التمكين مرهون بالوفاء بشروطه الخُلُقيَّة والعمليَّة.

**الكلمات المفتاحية:** السُنن الإلهيَّة، التمكين، الاستبدال، بني إسرائيل.

---

١ - أستاذ في جامعة الكوفة، كلّيَّة الفقه.

# Laws [Sunan] of Empowerment, Replacement Qur'anic Logic in Dealing with Children of Israel

◆ **Prof. Sajad Hadi Al-Anbaki**
Professor at al-Kufa University, College of Jurisprudence [Fiqh].

## ■ Abstract

The study focuses on two key divine principles that shape the course of history and societies in the Qur'anic view: the principle of empowerment and the principle of replacement, using the Israeli experience as a case study. It aims at exploring the Qur'anic approach to the Children of Israel, examining their rise to power (empowerment) and their eventual decline and fall (replacement). The study begins by defining these divine principles, highlighting the difference between empowerment as a test and empowerment as a reward. It then analyzes key historical moments when Allah, Almighty, granted the Children of Israel power, and how this power ultimately became a test of their faith and patience. The study also addresses the principle of replacement, explaining it as a strict law that does not favor any particular race or ethnicity. It concludes that the Qur'anic account of the Children of Israel is not just a historical narrative, but rather a warning to the Muslim community about the dangers of falling into the same mistakes that led to their downfall and replacement.

## Keywords:

Divine Laws [Sunan], Empowerment, Replacement, Children of Israel.

## مقدمة

يُمثِّل القرآن الكريم المرجعيَّة الكبرى لفهم قوانين الاجتماع البشري، فهو ليس مجرَّد كتابِ وعظٍ أو تاريخ بل هو (دستورٌ سُنَني) يكشف عن القواعد الحاكمة على صعود الأمم وأفولها. وتبرز قصَّة بني إسرائيل في السياق القرآني باعتبارها أطول دراسة لعمل هذه السنن وأعمقها؛ حيث استعرض النص الشريف بوضوحٍ تام جدليَّة التمكين والاستبدال في مسيرتهم، محوِّلًا إيَّاها من واقعة تاريخيَّة تخصّ جماعة بعينها إلى قانون كوني يطال كلّ أُمَّة تنحرف عن مقتضيات الرسالة.

تكمن الإشكاليَّة المركزيَّة لهذا البحث في التساؤل عن المنطق السُنني الذي أدار به الوحي الإلهي ملفّ بني إسرائيل: كيف تحوّلوا من أُمَّةٍ فُضّلت على العالمين ومُكّنت في الأرض، إلى أُمّةٍ استوجبت غضب الاستبدال وسلب الريادة؟ وما هي العوامل الموضوعيَّة التي جعلت من (التمكين الإسرائيلي) نموذجًا منتهيًا، ومن (التمكين الإسلامي) بديلًا حضاريًا؟

وتتجلى أهميَّة هذه الدراسة في كونها تُخرج التعامل مع قصص بني إسرائيل من حيز السرد القصصي إلى حيز الاستنباط السنني. فالأمة الإسلاميَّة اليوم، وهي تعيش مخاضات الاستضعاف والبحث عن النهوض، أحوج ما تكون إلى فقه سُنَّة الاستبدال؛ لتدرك أن الانتماء للدين ليس صكًا أبديًا للسيادة، بل هو عقدٌ مشروط بالاستقامة والقيام بواجبات الاستخلاف.

### أولًا: التأصيل المفهومي للسُنن الإلهيَّة (التمكين والاستبدال)

#### ١ - مفهوم السُنن في اللغة

تُعد كلمة (السُنن) جمعًا، مفردها (سنَّ) الذي نجد لمادته اللغويَّة (س، ن، ن) معانيَ كثيرة

في معاجم اللغة، والأصل اللغوي لهذه الكلمة هو جريان الشيء واطّراده في سهولة.

ففي هذا السياق المعجمي، يقول (ابن فارس) (ت ٣٩٥هـ): "سننت الماء على وجهي أَسُنُّه سنًّا، إذا أرسلته إرسالاً. ثمَّ اشتُقَّ منه رجلٌ مسنون الوجه، كأنَّ اللّحم قد سُنَّ على وجهه. والحمأُ المسنون من ذلك، كأنَّهُ قد صُبَّ صبًّا"[١].

وعند الانتقال من الدلالة الحركيَّة إلى الدلالة المعنويَّة، نجد أنَّها تطلق السُنَّة في اللغة ويراد بها الطريقة؛ لكن يبدو من معاجم اللغة أنَّ هناك تفسيرين مختلفين لهذا الاطلاق من حيث السعة والضيق، وهما:

**أ- الإطلاق الدلالي**

يذهب هذا الاتجاه إلى أن (السُنَّة) في أصل وضعها اللغوي تعني الطريقة المتّبعة والسيرة المستمرّة، دون نظرٍ إلى طبيعتها من حيث الحسن أو القبح. فهي وعاءٌ للفعل أيًا كان نوعه.

**ب- التقييد القيمي:**

يرى أصحاب هذا المسلك أنَّ (السُنَّة) في حقيقتها اللغويَّة لا تُطلق إلا على السيرة المستقيمة والمنهج المرضي، ولا تنصرف إلى غير ذلك إلا بقرينة تقييديَّة.

ثم يأتي طرح الراغب الأصفهاني ليمثل جسرًا دلاليًا يربط بين الأصل اللغوي والاستعمال القرآني فيقول: "سُنَّة الوجه: طريقته، وسُنَّة النبي: طريقته التي كان يتحرّاها. وسُنَّة الله تعالى: قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته..»[٢].

وقد ربط الراغب بين (السُنَّة) ومادة (س ن ن) في قوله تعالى: ﴿**مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ**﴾ و﴿**لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾؛ ليشير إلى أن جوهر المادة يدور حول (الاستمرار والجريان)، فالسُنَّة هي المسار الذي جرى عليه العمل واستمر دون تغيير، تمامًا كجريان الماء في مجراه.

فإن مقاربة الراغب تمنح مصطلح (السُنَّة) بُعدًا يتجاوز مجرد الطريقة، لتجعل منها قانونًا

١ - أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٦٠.

٢ - ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٣٥٦- ٣٥٧.

مطردًا يتّسم بالثبات (عدم التغيّر) والقصد (التحرّي)، وهو ما يوفق بين الدلالة اللغويَّة المطلقة وبين الدلالة الشرعيَّة المقيّدة بالصلاح والحكمة[١].

## ٢-التعريف الاصطلاحي للسُنَّة

يتعدد الاستعمال الاصطلاحي للسُنَّة في دلالته بحسب العلوم التي يُستعمل فيها؛ فعند المحدِّثين يختلف عنه عند علماء الفقه، وكذلك يختلف عنه عند علماء الأصول، والتفسير، والكلام [٢]، وسنذكر بعض تلك المعاني بشكل موجز بعض تلك المعاني بما يخدم البحث، ونركز على الاستعمال عند علماء التفسير.

فعند المحدّثين الإماميَّة عرّفت بأنَّها: «قول النبي ﷺ، أو المعصوم عليه السلام، أو فعله، أو تقريره»[٣]، من دون فرق بين أن يكون المعصوم نبيًّا، وبين أن يكون إمامًا، ومن غير فرق بين ما يصدر عنهم في شؤون الدّين والدنيا[٤].

وعند الفقهاء هي: ما يُستحب من الأفعال، فهي بهذا المعنى ترادف المندوب، والنافلة والمرغّب فيه، والتطوُّع، فيقولون مثلاً: سُنن الوضوء[٥].

أما عند المفسّرين:

فقد عرَّفها (الطبري) (ت٣١٠ هـ) بأنّها: مثال فعل الله في السابقين[٦]، وذكر (الرازي) (ت

١ - ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٣٥٦ - ٣٥٧.

٢ - ينظر: محمد تقي الحكيم: الأصول العامَّة للفقه المقارن، ص١٢٣.

٣ - الحسين بن عبد الصمد العاملي: وصول الأخيار الى أصول الأخبار، ص٣٩١.

٤ - ينظر: محمد تقي الحكيم، الأصول العامَّة للفقه المقارن، ص١٢٢-١٢٣.

٥ - ينظر: عبد الرحمن الغروي: الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام، ص١٣٨؛ محمد تقي الحكيم: الأصول العامَّة للفقه المقارن، ص١٢٢؛ وأحمد البهادلي: مفتاح الوصول، ص٣٦.

٦ - ينظر: محمد الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٢، ص٢٠.

٦٠٦ هـ) ذلك في تفسيره؛ إذ قال: السُنَّة هي: «الطريقة المستقيمة، والمثال المتَّبع»[١] وهنا يبرز البُعد التاريخي والقصصي للعبرة، والربط بين فعل الله وبين ما يجب على الإنسان اتّباعه.

وقد وسّع (الحويزي) (ت ١١١٢ هـ) الدائرة لتشمل العموميَّة فهي السنن والأمثال التي تجري على الناس جميعًا، وقول الله الحقّ[٢]، ما يؤسّس لفكرة (الاطراد) أي تكرار وقوع السُنَّة.

ونرى (ابن عاشور) (ت ١٣٩٣ هـ): استخدم لفظ (العادة) للسُنَّة فهي عنده: "عادة الله في الخلق"[٣]. وهذا تعريف يجمع بين الثبات وبين نفي (الوجوب العقلي) على الله بل هو اختيار إلهي تكرر حتى صار عادة ونظامًا.

وأضاف (المراغي)(ت:١٣٧١هـ) بُعد الغائيَّة، فهي قواعد عنده «طرق قويمة، وقواعد ثابتة اقتضتها الحكمة والمصلحة»[٤]، ما يعني أنَّ السُنَن ليست عبثيَّة بل هادفة.

وقد ركّز (السيد الطباطبائي) :(ت: ١٤٠٢هـ) على الجانب الاجتماعي والاعتباري، فعرّفها بأنَّها "الطريقة المسلوكة في المجتمع، والأمر بالسير في الأرض لمكان الاعتبار بآثار الماضين من الأمم... يَعتبر بها المعتبرون، ويتفكَّه بها المغفَّلون"[٥].

أما (السيد محمد باقر الصدر) فقد أحدث نقلة نوعيَّة بوصفها: «القوانين التي تتحكَّم في مسيرة التأريخ، وفي حركته، وتصوِّره»[٦].

فهي تتحكَّم في حركة التاريخ، ناقلاً المفهوم من الفضاء التفسيري إلى الفضاء الفلسفي والعلمي.

---

١ - محمد الرازي: مفاتيح الغيب، ج٩، ص٣٦٩.
٢ - ينظر: عبد علي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٣، ص١٩٩.
٣ - محمد بن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٤، ص٩٧.
٤ - أحمد المراغي: تفسير المراغي، ج٤، ص٧٦.
٥ - محمد حسين: الطباطبائي تفسير الميزان، ج٤، ص٢١.
٦ - محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنيَّة، ص٤٦.

ويمكن أن تلخص السنن الإلهيَّة في مسارها الاصطلاحي والمعرفي بأنَّها تحوَّلت من(مثال تاريخي) للاعتبار (الطبري) و(الرازي)، إلى «عادة واطراد» يحكم البشر عند (الحويزي) و(ابن عاشور)، وصولاً إلى صياغتها باعتبارها قوانين موضوعيَّة ونواميس كونيَّة تحكم حركة المجتمع والوجود بأسره عند (الصدر) و(الشيرازي) و(اليزدي)، فهي تمثِّل النظام الثابت الذي يربط بين حكمة الخالق وحركة الخلق.

### ٣-مفهوم التمكين في اللغة:

التمكين مصدر الفعل (مكّن) الذي تألَّف من ( م ك ن)، ومنه (أمكَنَه) أي: استمكن الرجل من الشيء، وتمكّن فلان من الشيء، وفلان لا يمكنه النهوض أي لا يقدر عليه[١]، و (المَكِنه) من التمكين، وتقول العرب: إنَّ بني فلان لذو مكنةٍ من السلطان، أي أنَّهم ذو مكانة، وسُمّي العرب موضع الطير (مَكِنَة)؛ لتمكّن الطير فيه، وتُعد المكانة عند العرب بمقام المنزلة عند الملك[٢].

وفي قوله تعالى ﴿**ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ**﴾ [التكوير: ٢٠] يقول (الراغب): "أي: متمكّن ذي قدر ومنزلة. ومَكِنَات الطّيرِ ومَكْنَاتها: مقارّه"[٣].

ومن خلال استقراء المعاني اللغوي نسنطيع القول إنَّ التمكين لغةً هو: القدرة المقترنة بالاستقرار والرفعة، فهو ليس مجرّد قوَّة عارضة بل هو نفوذ مستقرّ ومكانة راسخة.

### ٤-التمكين في الاستعمال القرآني

إن تتبع المصطلح في القرآن الكريم باشتقاقاته وسياقاتها نجدها ترجع في مجملها إلى

---

١ - ينظر: إسماعيل الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، ج٦، ص٢٢٠٥؛ أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج٥، ص٣٤٣؛ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج٢، ص٨٨١.

٢ - ينظر: محمد بن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٣١٤.

٣ - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٧٧٣

معانٍ خمسة:

أ. التميكن بمعنى المكان: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧]، أي: "أو لم نجعل مكانهم حرما اذ امن بحرمة البيت"[١].

ب. التمكين بمعنى القدرة والتصرّف: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٠]، أي: «جعلنا لكم قدرة، أي أقدرناكم على أمور الأرض وخوّلناكم التّصرّف في مخلوقاته»[٢].

ج. التمكين بمعنى المكانة: وممَّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] أي: "إنّك عندنا ذو مكانة، متمكّن في المنزلة والقدرة، نافذ القول والأمر، ظاهر الأمانة مأمون ثقة"[٣].

د. التمكين بمعنى الحكم والسيطرة: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، «أي منحناه سبل القوة والقدرة والحكم»[٤]، و "جعلنا له فيها سلطانًا حتى استولى عليها"[٥].

ه. التمكين: بمعنى الاستقرار، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]، أي "مكين لذاك، بأن هُيِّئ لاستقراره فيه إلى بلوغ أمده الذي جعل له"[٦].

ومما مرّ من المعاني اللغويَّة والاصطلاحيَّة يمكننا تعريف سُنَّة التمكين بأنَّها: قانونٌ إلهيٌّ مطّردٌ، ينظّمُ حركةَ المجتمعاتِ في التاريخِ، ويقضي بنقلِ الفئاتِ المؤهَّلةِ من حالِ

١ - محمد السبزواري: إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص٣٩٧.
٢ - محمد بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير؛ ينظر: محمد جواد مغنيَّة: التفسير الكاشف، ج٣، ص٣٠٤.
٣ - الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٣٧٠- ج١٠، ص٦٧٧.
٤ - ناصر مكارم شيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٩، ص٣٥٠.
٥ - محمد السبزواري: إرشاد الاذهان إلى تفسير القرآن، ج١، ص٣٠٨.
٦ - محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٥٤.

الاستضعافِ إلى حالِ الاستقرارِ والسيادةِ، عبرَ تمليكِهم أسبابَ القوةِ الماديَّة والمعنويَّة، إمضاءً لحكمةِ اللهِ في أرضِه.

### ٥-مفهوم الاستبدال في اللغة:

يعرّف (الراغب الأصفهاني) الإبدال ومشتقَّاته (التبديل، التَّبَدُّل، الاستبدال) بأنَّه (جعل شيء مكان آخر)، ويُقرّر أنّه (أعمّ من العوض)؛ إذ إنَّ العوض يستلزم حصول الثاني مقابل بذل الأوَّل، أمَّا التبديل فيشمل التغيير المحض حتى بدون إتيان ببديل. ويستشهد (الأصفهاني) بتعدّد دلالات هذه المشتقات في القرآن الكريم، فيذكر منها[1]:

أ. التحريف والتغيير القولي، كقوله تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾ [البقرة: ٥٩].

ب. التحوُّل من حال إلى حال، كقوله تعالى: ﴿**وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾ [النور: ٥٥].

ج. المقايضة والمجازاة الإلهيَّة: كقوله تعالى: ﴿**فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾ [الفرقان: ٧٠]، محتملاً فيها معنيين: إما فعلهم لأعمال صالحة تمحو أثر الإساءة، أو عفوه تعالى عن سيئاتهم واحتسابها بحسناتهم.

د. الاستبدال والاختيار: كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ**﴾ [البقرة: ١٠٨]، و﴿**يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٨].

وأَبْدَلَهُ منه بغَيره، وَبَدَّلَهُ منه: اتَّخَذَه منه بَدَلاً. قال ثَعْلَبٌ : يُقال: أَبْدَلْتُ الخَاتَمَ بالحَلْقَة : إذا نَحَّيْتَ هذا وجَعَلْتَ هذا مكانه، وبَدَّلْتُ الخاتَمَ بالحَلْقَة: إذا أَذَبْتَه وسَوَّيْتَه حَلْقَةً، وبَدَّلْتُ الحَلْقَة بالخاتم: إذا أَذَبْتَها وجَعلتها خاتمًا، وحقيقتُه أَنَّ التَّبْدِيلَ تَغييرُ

١ - ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص١١١-١١٢.

الصورة إلى صورة أخرى والجوهرة بعينها. والإبدالُ: تَنْحِية الجوهرة واستئناف جَوْهَرة أخرى[1].

### ٦-الاستبدال اصطلاحًا:

عند تتبع المصطلح عند المفسّرين نجده يقرب كثيراً من المعنى اللغوي، فـ (الطبري) (ت:٣١٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، قال : «الِاسْتِبْدَالِ: هُوَ تَرْكُ شَيْءٍ لِآخَرَ غَيْرِهِ مَكَانَ الْمَتْرُوكِ»[2]، ويرى (الشيخ الطوسي) أنَّ "الاستبدال جعل أحد الشيئين بدل الآخر"[3]، ومثله ما قاله (القرطبي) في الآية نفسها "الاستبدال: وضع الشيء موضع الآخر، ومنه البدل"[4].

وبناءً على ما تقدَّم من المعاني اللغويَّة والاشتقاقات القرآنيَّة، يمكن بلورة ماهيَّة (الاستبدال) في الرؤية السُننيَّة للقرآن الكريم بأنَّها: قانون إلهيٌّ يقضي بتنحية الفاعل الحضاري العاجز عن حمل الأمانة، وإحلال بديلٍ مستوفٍ لشرائط الاستخلاف؛ ضمانًا لاستمرار الفاعليَّة والقسط في الأرض، وهو بذلك لا يمثِّل مجرَّد عقوبة تاريخيَّة بل ضرورة كونيَّة لحفظ الرسالة من الضياع بركون حامليها.

## ثانيًا: الخصائص الأساس للسُنن الإلهيَّة في القرآن:

إنَّ السُنن الإلهيَّة ليست مجرَّد وقائع تاريخيَّة عابرة، بل هي منظومة من القوانين الكليَّة التي تحكم حركة الإنسان والكون والمجتمع. وتكتسب هذه السنن قيمتها العلميَّة والعمليَّة من

١ - محمد الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ص٦٨.
٢ - محمد الطبري: جامع البيان، ج٢، ص١٩؛ وينظر: إبراهيم الأبياري: الموسوعة القرآنيَّة، ج٩، ص٨٥.
٣ - محمد الطوسي: التبيان، ج٥، ص٢٢٠.
٤ - محمد القرطبي: تفسير القرطبي، ج١، ص٤٢٨.

مجموعة من الخصائص الذاتيَّة التي تجعلها نظامًا مطّردًا لا يقبل العفويَّة.

وقد وردت لفظة (السُنن) ومفردها( سُنَّة) في النص القرآني بسياقات مختلفة، فتارة نُسبت إلى الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿**سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلا**﴾ [الفتح: ٢٣]، و(سنن) كقوله تعالى: ﴿**قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ومنسوبة إلى الذين من قبلنا: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ**﴾ [النساء: ٢٦]، وأخرى منسوبة إلى المرسلين، كقوله تعالى: ﴿**سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ**﴾ [الإسراء: ٧٧]، سيبيّن البحث الخصائص الكبرى للسُنن في القرآن الكريم، مع بيان هل هي سُنَّة واحدة في الأصل أم سنن متعددة؟

### ١ - إلهيَّة المصدر

تُعدّ هي الخصّيصة الأُمّ، ومعناها أنَّ هذه القوانين صادرة عن إرادة الله -عزَّ وجلَّ- وعلمه المحيط، وهي تعبير عن حكمته في إدارة خلقه، وتتجلَّى إلهيَّة السُنن وربَّانيَّتها في إضافتها المباشرة للفظ الجلالة: ﴿**سُنَّةَ اللهِ الّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ**﴾ [الفتح: ٢٣]؛ حيث تعني هذه الإضافة أنَّ السُنَّة قانون إلهي لا يملك البشر تبديله، كما تعني خضوع الظواهر الاجتماعيَّة لتقدير العزيز العليم.

إنَّ صدور السُنن عن الله يضمن تجرّدها من الهوى والمحاباة، فاللّه -تعالى- حين وضع سُنن النصر والتمكين أو الاستئصال والدمار، جعلها مرتبطة بسلوك البشر أنفسهم، ما يحقّق مبدأ العدالة الإلهيَّة في الأرض، «فكيف يمكن للّه -سبحانه وتعالى- أن يعاقب قومًا على أعمال معيّنة، ثمّ لا يعاقب غيرهم الذين يسلكون سلوكهم نفسه؟ أليس هو العدل الحكيم، و كلّ ما يفعله بناء على حكمة وعدل تامَّين؟! فإنّ تغيير السُنن يمكن تصوّره بالنسبة إلى من يمتلك اطّلاعا أو معرفة محدودة؛ إذ يزداد معرفة بمرور الزمان يعرض عن سُنَّة سابقة، أو يكون

الإنسان عالماً، لكنّه لا يتصرّف طبقًا للحكمة والعدالة بل طبقًا لميول خاصّة في نفسه، ولكن اللّه -سبحانه وتعالى- منزّه عن جميع تلك الأمور، وسُنّته حاكمة على من يأتي كما كانت تحكم على من مضى»[1].

### ٢ - خاصّيَّة الثبات

يعني الثبات استقرار السُنَّة وبقاء فاعليَّتها عبر الزمان والمكان، فلا تبلى بمرور القرون ولا تتغيَّر بتغيُّر الأقوام. وقد استخدم القرآن أداتين لنفي التغيُّر، أشار إليهما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلا﴾ [فاطر: ٤٣].

الأولى نفي التبديل: والتبديل هو تغيير ذات القانون أو استبداله بغيره، والثانية: نفي التحويل: والتحويل هو نقل أثر السُنَّة من شخص يستحقّها إلى آخر لا يستحقّها، أو تحييدها عن مسارها. والمعنى «فلن تجد يا محمد (لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)؛ أي لا يغيّر اللَّه عادته من عقوبة من جحد ربوبيَّته (وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)، ولا يبدلها بغيرها، فالتبديل تصيّر الشيء مكان غيره، والتحويل تصيّر الشيء في غير المكان الذي كان فيه، والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان»[2].

ولولا ثبات السُنن لما أمكن قيام (علم التاريخ) أو (علم الاجتماع). فثبات السُنن هو الذي يجعل من قصص الأوَّلين (عبرة)؛ لأنَّ القواعد التي حكمت تصرّفاتهم لا تزال قائمة وتحكم تصرّفاتنا اليوم. و(لن) في قوله -تعالى- تفيد النفي مع التأبيد، ما يعني بالضرورة الثبات لهذه السُنن، وليكون في ذلك زيادة في التأكيد أنَّ الله لا يخالف سُنَّته؛ لأنَّها مقتضى حكمته وعلمه، فلا تجري متعلّقاتها إلا على سُنن واحدة، والمعنى: لن تجد لسنن الله مع الذين

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٤، ص١١٤.
٢ - محمد الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج٨، ص٤٣٨- ٤٣٩.

خَلَوْا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلا[1].

وثبات السُنَّة وحتميّتها تعني أنَّ السُنَّة إذا استجمعت أركانها، بلغت نقطة الـ (لا عودة)؛ حيث يقع القدر المقدور، ولا يرفعه إلا العودة لمقتضيات سُنَّة أخرى مضادة.

يقول تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهدَى... إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [الكهف: ٥٥]. هذه الحتميَّة تقع حين يستنفد البشر فرص الهداية، فتتحرَّك سُنَّة الجزاء بحكم الاستحقاق، وهي لحظة يصفها القرآن بـ (مجيء أمر الله).

وثبات السُنَّة وحتميَّة وقوعها لا يعنيان الجبر بل أنَّ الإنسان مختار في المقدّمات ومسير في النتائج. فإذا اختار الإنسان إلقاء نفسه من شاهق، فهو مختار في الفعل، لكنَّه خاضع حتمًا لقانون الجاذبيَّة (السُنَّة) في النتيجة.

### ٣ - خاصّيَّة الشموليَّة والاطّراد:

الاطّراد هو تكرار وقوع الأثر كلّما توفّرت الشروط وانتفت الموانع، وهو ما يُعرف بـ (قانون السببيَّة)، أي هناك تلازم بين المقدّمات والنتائج، يقول تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٧]. الأمر بالسير والنظر مبني على (الاطّراد)، أي أنَّ ما حلّ بالمكذِّبين الأوائل سيحلّ حتمًا على كلّ مكذّب يسير على خطاه؛ لأنَّ السُنَّة مطّردة لا تتخلَّف، فمن أكبر الغايات التي أنزل الله تعالى من أجلها القصص والأمثال هي للاتعاظ والاعتبار، فإنَّه سيجري علينا كما جرى عليهم حذو النعل بالنعل، من هنا يقول (السيد السبزواري) (ت:١٤١٤هـ): «إنَّ النظر في سُنن الماضين من سبل الرشاد، و فيها وجوه من الحكمة والاعتبار بها، وإتمام الحجَّة على اللاحقين، وتسلية لما يجري عليهم، والاستفادة من تجاربهم وغير ذلك، ولذا اهتمَّ بها -عزَّ وجلَّ- فذكرها في

١ - ينظر: محمد بن عاشور: التحرير والتنوير، ج١١، ص٣٢٦.

مواضع متعدّدة. وبالجملة: فهو إرشاد إلهي. والمراد بها في المقام منهاج الماضين وما جرى عليهم سواء كان سُنَّة المؤمنين ما كابدوا من عتاة زمانهم ورضوا بما قسَّمه اللّه لهم صبروا أم سُنَّة الكاذبين الكافرين الذين آثروا الدنيا على الآخرة، والأمر بالسير في الأرض لزيادة الاعتبار من آثار الماضين والتبصّر منها، ويدخل في السير في الأرض السير في حالات أهل الأرض من خلال التاريخ والحوادث الواقعة فيهم»[1].

ولا يقتصر الاطّراد على الهلاك المادّي بل يشمل سنن التغيير النفسي: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾، هذا قانون مطّرد؛ فالتغيير الخارجي (الاجتماعي) هو نتيجة حتميَّة ومطّردة للتغيير الداخلي (النفسي).

يقول (السيد الطباطبائي) في بيان هذه الآية: والآية تدلّ بالجملة على أنَّ الله قضى قضاء حتميًّا بنوع من التلازم بين النعم الموهوبة من عنده للإنسان وبين الحالات النفسيَّة الراجعة إلى الإنسان الجارية على استقامة الفطرة، فلو جرى قوم على استقامة الفطرة وآمنوا باللّه وعملوا صالحًا أعقبهم نعم الدنيا والآخرة كما قال: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ**﴾ [الأعراف: ٩٦]، وهذه الحال ثابتة فيهم دائمة عليهم ما داموا على حالهم في أنفسهم فإذا غيَّروا حالهم في أنفسهم غيَّر الله سبحانه حالهم الخارجيَّة بتغيير النعم نقمًا.

ويستفاد من الآية العموم وهو أنَّ بين حالات الإنسان النفسيَّة وبين الأوضاع الخارجيَّة نوع تلازم سواء كان ذلك في جانب الخير أم الشر، فلو كان القوم على الطاعة والإيمان وشكر النعمة عمَّهم الله بنعمه الظاهرة والباطنة، ودام ذلك عليهم حتى يغيّروا فيكفروا ويفسقوا، فيغيَّر الله نعمه نقمًا ودام ذلك عليهم حتى يغيّروا فيؤمنوا ويطيعوا ويشكروا، فيغيّر الله نقمه نعمًا وهكذا[2].

---

١ - عبد الأعلى السبزواري: مواهب الرحمن، ج٦، ص٣٥٤.

٢ - محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص٣١١.

والشموليَّة تعني أنَّ السُنن الإلهيَّة قوانين عابرة للأشخاص والأجناس، فهي لا تحابي أحدًا لقربه من النبوَّة أو انتسابه لرسالة إذا ما خالف مقتضيات السُنَّة.

تظهر الشموليَّة في مخاطبة المؤمنين بوقائع من قبلهم: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم**﴾ [البقرة: ٢١٤]. فالمؤمنون خاضعون لسُنَّة الابتلاء والتمحيص كما خضع لها من قبلهم؛ فلا دخول للجنة بغير سلوك طريقها السُنني، وكذلك قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ [النساء: ١٢٣]، ويبيّن (الشيخ مغنيَّة) هذا المعنى، فيقول: «ترتكز هذه الآية على مبدأ بديهي، لا يجادل أحد فيه، ويرتفع بقيمته من مستوى التعديل والتغيّر بتغيّر الأزمان والأحوال، والتخصيص بالنساء أو الرجال، وهو أنّ (الإنسان مجزى بأعماله) .. وتكرَّر هذا المعنى بأساليب شتَّى في كتاب اللّه، فقد قال قائل من المسلمين: إنَّ النار خلقت لغير المسلمين .. و هكذا كلّ أناس فرحون بما يدينون .. فردَّ اللّه عليهم جميعا بقوله: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١٢٣] كائنًا من كان، وليس بين اللّه وبين أحد نسب ولا سبب إلا الإخلاص والعمل الصالح، وكفى دليلاً على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ). وقد ورد عن قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، واللّه مالنا على اللّه حجّة، ولا معنا من اللّه براءة، وإنّا لميتون وموقوفون ومسؤولون، من أحبَّ الغلاة فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبَّنا، والغلاة كفَّار، والمفوِّضة مشركون»[1]»[2].

إنَّ غياب إدراك هذه الخصائص هو الذي أوقع كثيراً من الأمم في الاستخفاف بالقوانين الكونيَّة، فظنّوا أنَّهم استثناء من التاريخ، فباغتتهم سُنَّة الله التي لا تحابي أحدًا.

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٨٩.

٢ - محمد جواد مغنيَّة: التفسير الكاشف، ج٢، ص٤٤٦.

## ثالثًا: موجبات التمكين ومظاهره في بني إسرائيل:

تتشكَّل ملامح التجربة الإسرائيليَّة من خلال تلازم وثيق بين موجبات التمكين باعتبارها شرائط شرعيَّة وخُلُقيَّة، وبين مظاهره باعتبارها مكاسب معرفيَّة وحضاريَّة، ما يجعل من دراستها مدخلاً لفهم قوانين الله في اصطفاء الأمم وإعزازها:

### ١ - موجبات التمكين لبني إسرائيل:

لا ينظر القرآن الكريم إلى التمكين بوصفه مجرّد انتصار عسكري، بل هو استحقاق قيمي يتطلَّب بنية نفسيَّة صلبة. وقد لخَّص القرآن هذه البنية في ركنين رئيسين: الصبر بوصفه قوَّة دفع وضبط للسلوك، واليقين بوصفه اعتقادًا قلبيًّا.

إنَّ الصبر في سياق بني إسرائيل لم يكن استسلامًا للواقع، بل كان صبراً إيجابيًّا يتضمَّن الثبات على المبدأ تحت وطأة التعذيب الفرعوني، قال تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ**﴾ [الأعراف: ١٣٧] فالباء هنا هي (باء السببيَّة)، أي: مما يجعل الصبر هو العلَّة والمحرك لاستنزال نصر الله. الصبر هنا هو الذي حوَّل المستضعفين من مجرّد ضحايا إلى بدلاء مؤهّلين لقيادة الأرض.

ويبين (الشيخ ناصر مكارم) معنى (الاستضعاف) وفرقه عن (الاستعمار) وآليَّات استضعاف بني اسرائيل وأنواعه، فهو يرى أنَّ (الاستضعاف) المرادف الحقيقي لمصطلح (الاستعمار) المعاصر؛ فكلاهما يهدف إلى سلب قوَّة الجماعة وتحويلها إلى أداة لخدمة مصالح المستغلّين.

لكن الفرق الجوهري بينهما: أنَّ (الاستعمار) مصطلح مخادع يوحي ظاهره بالإعمار ويبطن التدمير، بينما (الاستضعاف) مصطلح صريح يتطابق فيه الظاهر مع الباطن في عمليَّة الإذلال.

وتشير عبارة (كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ) إلى سياسة التوهين المستمرّة التي اتّبعها الفرعونيّون ضدّ بني إسرائيل، وهي عمليَّة إضعاف شاملة لم تقتصر على الجانب المادي، بل شملت:

- الضعف الفكري والخُلُقي.
- الضعف الاقتصادي والاجتماعي.

وقوله تعالى: (مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) يحمل دلالة السعة: اتساع رقعة نفوذ الفرعونيّين لتشمل أراضٍ شاسعة ذات آفاق متعدّدة.

ثم يبيّن سُنَّة التمكين بعد الاستضعاف وأثر الصبر فيها، ثمّ يقول: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟**﴾ [الأعراف: ١٣٧] أي تحقّق الوعد الإلهي لبني إسرائيل بانتصارهم على الفرعونيين، بسبب صبرهم وثباتهم.

وهذا هو الوعد الذي أشير إليه في الآيات السابقة (الآية ١٢٨ و١٢٩ من هذه السورة نفسها).

ثمَّ يبيّن أنَّ هذه الآية، وإنْ تحدّثت عن بني إسرائيل وثباتهم في وجه الفرعونيين فقط، لكنّه يستفاد من الآيات القرآنيَّة الأخرى أنَّ هذا الموضوع لا يختصّ بقوم أو شعب خاص، بل إن أيَّ شعب مستضعف نهض وحاول تخليص نفسه من مخالب الأسر والاستعمار، استعان في هذا السبيل بالثبات والاستقامة، سوف ينتصر آخر المطاف ويحرّر الأراضي التي احتلّها الظلمة الجائرون[1].

والسبب الثاني الذي كان يؤهّلهم للتمكين، حينما كانوا مستضعفين، أنَّهم يتّصفون باليقين؛ إذ قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤]

وفي هذه الآية يرى (الشيخ مكارم الشيرازي): أنَّ الآية ذكرت شرطين للإمامة:

١ - ينظر: ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج٥، ص١٨٦.

أحدهما: الإيمان واليقين بآيات اللّه عزّ وجلّ.

والثّاني: الصبر والاستقامة والصمود.

ثمَّ يقول إنَّ هذا الأمر ليس مختصًّا ببني إسرائيل بل هو درس لكلّ الأمم، ولجميع مسلمي الأمس واليوم والغد، بأن يحكّموا أُسس يقينهم، وأن لا يخافوا من المشاكل التي تعترضهم في طريق التوحيد، وأن يتحلّوا بالصبر والمقاومة؛ ليكونوا أئمّة الخلق وقادة الأمم. ثمَّ يقول إن التعبير بـ (يهدون) و(يوقنون) بصيغة الفعل المضارع دليل على استمرار هاتين الصفتين طيلة حياة هؤلاء؛ لأنّ مسألة القيادة لا تخلو لحظة من المشكلات[1].

وفي قوله -تعالى- على لسان موسى(عليه السلام) وهو يوصي قومه بالصبر: ﴿**قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٨]؛ لذا يقول الطبري: «إنَّ الأرض لله، لعل الله أن يورثكم إن صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد، أرض فرعون وقومه، بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها، فإنّ الله يورث أرضه من يشاء من عباده. وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، والعاقبة المحمودة لمن اتّقى الله وراقبه، فخافه باجتناب معاصيه، وأدَّى فرائضه»[2].

من هنا، يتَّضح: إن اقتران اليقين بالصبر يمثّل اكتمال الدورة النفسيَّة للتمكين؛ وهو يمثّل الجانب العملي التحمل، واليقين يمثل الجانب المعرفي (الثقة بالهدف). فبدون اليقين يتحول الصبر إلى يأس، وبدون الصبر يتحول اليقين إلى أماني فارغة.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنَّ صفتي الصبر واليقين لم يختصَّا بتمكين بني إسرائيل، بل هما شرطان موجبان لتمكين المستضعفين في أي عصر، بوصفهما مقدّمتين لسُنَّة الله ﴿**...وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلا**﴾ [الفتح: ٢٣].

---

١ - ينظر: ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج١٣ ص ١٣٨-١٣٩.

٢ - محمد الطبري: جامع البيان، ج٩، ص١٩.

**٢-مظاهر التمكين لبني إسرائيل:**

**أ - التمكين في وراثة الأرض والاستقرار**

يُعدّ المكان هو المنطلق المادّي لأي تمكين حضاري؛ فلا يمكن لمنهج أن يسود، ولا لأُمّة أن تمارس سيادتها وهي في حالة شتات أو تيه؛ لذا ركّز القرآن الكريم على تحويل بني إسرائيل من حالة عدم الاستقرار الجغرافي التي عاشوها في مصر باعتبارهم عمالة وافدة مستضعفة وفي سيناء تائهين، إلى حالة القرار المكين في الأرض المباركة.

في العرف السياسي المعاصر، تُنتزع الأرض - غالبًا- بالقوَّة العسكريَّة، أمَّا في المنظور القرآني، فقد جاء تمكين بني إسرائيل في الأرض عبر مصطلح الوراثة، فقال تعالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ [الأعراف: ١٣٧].

الوراثة انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد[١]، وفي بيان معاني هذه الآية يقول الشيخ الطوسي: إنَّ اللَّه تعالى أورث الأرض مشارقها ومغاربها الذين استضعفوا في يدي فرعون وقومه. وإنَّما أورثهم بأن أهلك من كان فيها ومكن هؤلاء، وحكم بأنَّ لهم أن يتصرفوا فيها على ما أباحه اللَّه تعالى لهم، ومباركتة الأرض بإخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والأشجار إلى غير ذلك من العيون والأنهار وضروب المنافع للعباد وبالخصب الذي حصل فيها، ومشارق الأرض ومغاربها يريد جهات المشرق بها والمغرب. وقال الحسن هي أرض الشام ومصر. وقال قتادة هي أرض الشام. وقيل: هي أرض مصر[٢]، فوراثة الأرض انتقال التسلّط على منافعها إليهم واستقرار بركات الحياة بها فيهم، وهذه البركات إما دنيويَّة راجعة إلى الحياة الدنيا كالتمتّع الصالح بأمتعتها وزينتها[٣]. ويقول الشيخ ناصر مكارم: من البديهي أنّ بني اسرائيل ورثوا الفراعنة وسيطروا على جميع أنحاء ذلك البلد

١ - الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٨٦٣.

٢ - محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج٤، ص٥٢٦.

٣ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج١٤، ص٣٣٠.

الواسع المليء بالبركات (مصر وأطرافها)[1].

ثمَّ لم يكن تمكينهم في أي أرض، بل في الأرض المقدّسة والمبارك فيها: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [المائدة: ٢١].

**ب- التمكين السياسي:**

يمثّل التمكين السياسي في الرؤية القرآنيَّة من أهم مظاهر الاستخلاف؛ إذ لا يكتفي النصّ القرآني بمنح بني إسرائيل الأرض حيّزًا مكانيًّا بل يمنحهم السيادة بوصفها قدرة فاعلة. ويتميّز التمكين السياسي لبني إسرائيل بخصيصة فريدة وهي (التمكين المزدوج)، أي الجمع بين السلطة الزمنيَّة (المُلْك) والسلطة الروحيَّة (النبوّة)، قال -تعالى- على لسان موسى عليه السلام: ﴿**إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا**﴾ [المائدة: ٢٠]؛ أي سخّر الله لكم من غيركم خدمًا يخدمونكم؛ لأنَّهم أوَّل من سُخِّر لهم الخدم من بني إسرائيل وملكوا، وكلّ من ملك بيتًا أو خادمًا أو امرأة ولا يدخل عليه إلا بأمره فهو ملك- كائنًا من كان[2]، فإنَّهم كانوا «مستقلّين بأنفسهم خارجين من ذلّ استرقاق الفراعنة و تحكّم الجبابرة، وليس الملك إلا من استقلّ في أمر نفسه وأهله و ماله»[3].

فإنَّ قوله تعالى (جعلكم ملوكًا) يحمل دلالتين سياديَّتين:

- **السيادة الذاتيَّة:** أي أنَّكم أصبحتم تملكون أمر أنفسكم، وتخلّصتم من ملكيَّة فرعون لرقابكم، فالملك هنا هو الحريَّة وامتلاك القرار الشخصي.
- **السيادة السياسيَّة:** وصول أفراد منهم إلى دكّة الحكم الفعلي، بحيث ساسوا أنفسهم بأنفسهم بعد قرون من التبعيَّة.

---

١ - ناصر مكارم الشيرازي: نفحات القران، ج٩، ص ٣٣١

٢ - ينظر: محمد الطبري: جامع البيان، ج٦، ص١٠٩؛ نصر السمرقندي: بحر العلوم، ج١، ص٣٨١؛ محمد، الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢، ص٣٧٤، محمد الطوسي: التبيان، ج٣، ص٤٨١؛ علي الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١، ص٣١٤؛ محمد الزمخشري: الكشاف، ج١، ص٦٢٠.

٣ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج٥، ص٢٨٧.

### ج- التمكين التشريعي والمعرفي

يُعد التمكين التشريعي والمعرفي في المنظور القرآني هو الضمانة لاستمرار التمكين المادي. فبنو إسرائيل لم يُمنَحوا القوَّة العسكريَّة والمكانيَّة ليعيشوا في فوضى قانونيَّة، بل أُريد لهم أن يكونوا نموذجًا تشريعيًّا للأمم. هذا التمكين ينطلق من فكرة أنَّ (الكتاب والحكمة) هما أساس السيادة الحقيقيَّة، مضافًا إلى وجود النبيّين الذين ينفذون الكتاب ويرشدون إلى الحكمة. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الجاثيَّة: ١٦]، فقد «منَّ اللَّه تعالى بأنَّه أعطى بني إسرائيل الكتاب يعني التوراة وآتاهم الحكم، وهو العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحقّ والمبطل»[١].

فإنَّنا نلاحظ تقديم الكتاب في الآية؛ لأنَّ الكتاب (التوراة) هو الدستور الجامع الذي ينظّم علاقات المجتمع. يعني التمكين بالكتاب نقل بني إسرائيل من قانون الغابة الفرعوني إلى سيادة القانون الإلهي.

ومن مظاهر التمكين هو التفضيل المعرفي؛ إذ جعل الله من بني إسرائيل مرجعًا علميًّا للأمم في زمانهم، وهذا نوع من السيادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]. «وتشير الآية إلى نعمة أخرى من نعم اللّه سبحانه على بني إسرائيل، فتقول: وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ إلاّ أنّهم لم يعرفوا قدر هذه النعمة، فكفروا وعوقبوا. وعلى هذا، فإنّهم كانوا الأُمَّة المختارة في عصرهم؛ لأنّ المراد من العالمين البشر في ذلك العصر والزمان لا في كلّ القرون والأعصار؛ لأنّ القرآن يخاطب الأُمَّة الإسلاميَّة بصراحة في الآية (١١٠) من سورة آل عمران، فيقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾»[٢].

ويسلّط (السيد المدرّسي) الضوء على هذه الآية مستفيدًا من دروسها، باعتبار «أنَّ قوله

---

١ - محمد بن الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٥٤؛ وينظر: الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٩، ص١١٤.

٢ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج١٦، ص١٤٦.

تعالى:(ولَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلى عِلْمٍ) يعني بجدارتهم، وتميّزهم بإيمانهم وصالح أعمالهم عَلَى الْعالَمِينَ، ثمَّ يربط بين التمكين لبني إسرائيل وللأُمَّة الاسلاميَّة، فيقول: إذن فعلينا وعلى الأمم التي تنشد التقدّم أن لا تسعى للاستعلاء في الدنيا، فلكي نحقّق هذه الغاية علينا أن نوفّر عوامل الحضارة في أنفسنا، كالتزكية، والتعاون، والتعوّد على الخشونة، والمثابرة في العمل، والصبر، والاستقامة على الحق، وعندها سوف يوفّقنا اللّه، ويفضّلنا على غيرنا، وسنتقدّم على العالمين»[1].

من هنا، يتَّضح أنَّ التمكين المعرفي يتجلَّى في التجربة الإسرائيليَّة - كما يصوّرها النص- في كون العلم هو علّة الاختيار ومعيار السيادة، ما جعلهم مرجعًا حضاريًّا في زمانهم. وهذا يؤكّد أنَّ التمكين في المنطق القرآني هو استحقاق قيمي ومعرفي يدور مع أسبابه وجودًا وعدمًا، وهو ما يضع الأُمَّة الإسلاميَّة أمام مسؤوليَّة حضاريَّة كبرى لاستعادة هذه المقوّمات لضمان ديمومة تمكينها وتجنّب مآلات الاستبدال التي لحقت بمن ضيّعوا العلم وجحدوا النعمة.

## رابعًا: مقتضيات الاستبدال الناشئة عن فتنة التمكين لبني إسرائيل

تمُثّل مقتضيات الاستبدال في السياق الإسرائيلي حتميَّة سُننيَّة نشأت عن العجز في إدارة فتنة التمكين؛ حيث استبدلت تلك الأُمَّة ميثاق الشكر والالتزام بالمنهج بممارسات طغيانيَّة وتزييفيَّة للمرجعيَّة. وهو ما جعل سلب الولاية الحضاريَّة منها ضرورةً كونيَّة لتنقية مقام الاستخلاف، وتحويله إلى أُمّةٍ أخرى تُحقّق الغائيَّة الخُلُقيَّة والاعتقاديَّة من التمكين في الأرض، ومن ذلك:

### ١- فتنة العجل:

بعد أن شقّ الله لهم البحر في معجزة بهرت الأبصار، لم تستقرّ معاني التوحيد الغيبي

١ - محمد تقي المدرسي: من هدى القرآن، ج١٣، ص٤٤.

في نفوسهم بل نزعت نفوسهم إلى تجسيد الإله ليكون تحت سيطرة حواسّهم، ويبيّن الله -تعالى- ذلك الموقف ووقته بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٠-٥١].

فبمجرّد غياب القائد (موسى) اختاروا العجل المصنوع من الحلي الذي يرمز إلى تعلّقهم بالمادّة والزينة، فصنعوا إلهًا من ذهبهم، ما يعكس عجزًا نفسيًّا عن إدراك المطلق والاكتفاء بـ المحسوس. هذا الارتداد العقدي هو أول مقتضيات الاستبدال؛ لأنَّ الأُمَّة التي لا تدرك عظمة خالقها لا يمكن ائتمانها على قيادة خلقه؛ وقد أشار القرآن الكريم لدرجة تعلقهم بالعجل فقال -تعالى- واصفًا مشاعرهم: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]، فوصفهم هذا يدلّ على تعلّقهم بالمحسوس، وتمكّن حبّ العجل في قلوبهم[1] هو أيضًا كناية رائعة تعبّر عن وضع هذه الجماعة، وأنّ حبّ العجل قد غمر قلوب بني إسرائيل واستحكم في أنفسهم. وهذه العبارة توحي أيضًا أنَّ ما يصدر عن هؤلاء القوم من انحراف إنَّما هو ظاهرة طبيعيَّة ناتجة عن تغلغل روح الشرك في قلوبهم. والقلوب التي أشربت الشرك لا يصدر عنها إلا القتل والإنكار والخيانة[2]؛ لذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، فبعد التمكين جاء التهديد بالعذاب والاستبدال.

### ٢-الاستكبار المعرفي وطلب الرؤية:

لم يكتفِ بنو إسرائيل بالتمرّد السلوكي بل دخلوا في منطقة التعجيز والشرطيَّة مع الله، فربطوا إيمانهم برؤية الذات الإلهيَّة، وهو ما ينم عن وقاحة معرفيَّة تتجاوز حدود العبوديَّة.

١ - ينظر: محمد بن الحسن الطوسي: تفسير التبيان، ج١، ص١١٧.
٢ - ينظر: ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ج١، ص٣٠٠.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾ [البقرة: ٥٥]، تفيد «لن» التأبيد في النفي، وحتى غائيَّة تعجيزيَّة. إنَّهم هنا يضعون الله سبحانه في مقام المختبر أو المُطالب بإثبات الوجود وفق شروطهم البشريَّة القاصرة. هذا المسلك يُسمَّى في فقه السُنن الاستكبار على الآيات، وهو مقتضٍ مباشر للصعق (العقوبة) الذي هو مقدّمة لسلب التمكين. من هنا، ربط صاحب تفسير الكشّاف بين ما طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام وبين من لا يؤمنون إلا بالمادّيات، فيقول: حين جاءهم موسى بالتوراة قال له جماعة منهم: لا نصدقك في أنّ هذا الكتاب من عند اللّه، حتى نرى اللّه عيانًا لا حجاب بيننا وبينه، ويخبرنا وجهًا لوجه أنَّه أرسلك بهذا الكتاب.

ثم يعرّج على المعاصرين فيقول ولست أدري إن كان الذين ينكرون وجود اللّه في هذا العصر، لا لشيء إلا لأنَّهم لم يشاهدوه جهرة، ولست أدري: هل استند هؤلاء في إنكارهم إلى كفر أولئك الاسرائيليين وعنادهم؟

قال اليهود لموسى عليه السلام: لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهرة .. وقال من قال في هذا العصر: لا وجود إلا لما نراه بالعين، ونلمسه باليد، ونشمّه بالأنف، ونأكله بالفم .. وهكذا يكرِّر التاريخ صورة المكابرة ومعاندة الحقّ في كلّ جيل[1].

### ٣-وصف الخالق-عزَّ وجلَّ- بالنقص:

وصل الطغيان العقدي إلى ذروته بمحاولة أنسنة الإله وإسقاط صفات العجز البشري عليه، وهو ما يعبرّ عن انهيار تامّ لمنظومة التعظيم.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ**﴾ [المائدة: ٦٤]، وقد روي «فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾

١ - محمد جواد مغنيَّة: تفسير الكاشف، ج١، ص١٠٥.

يَعْنُونَ أَنَّهُ قَدْ فَرَغَ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ، لُعِنُوا بِمَا قَالُوا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ ﴿**بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ**﴾»[1]، ومثله ما بيّنه (الطبرسي) من أنَّ: القبض هنا أي مقبوضة عن العطاء ممسكة عن الرزق فنسبوه تعالى إلى البخل، وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا بما يبرّ به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل، ويجوز أن يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزء من حيث لم يوسع على النبي وعلى أصحابه، وليس ينبغي أن يتعجّب من قوم يقولون لموسى اجْعَلْ لَنا إِلهًا كَما لَهُمْ آلِهَةٌ ويتخذون العجل إلهًا أن يقولوا إنّ الله يبخل تارة ويجود أخرى، ثمَّ ردَّ الله عليهم بضدّ مقالتهم فقال ﴿**بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ**﴾ أي ليس الأمر على ما وصفوه بل هو جواد، فليس لذكر اليد هنا معنى غير إفادة معنى الجود وإنَّما قال ﴿**يَداهُ**﴾ على التثنية مبالغة في معنى الجود و الإنعام[2].

وقال أيضًا عنهم كذلك: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ**﴾ [آل عمران: ١٨١]، إنَّ هذه الآيات تعكس تضخّم الذات لديهم بعد التمكين؛ فبعد أن كانوا مستضعفين، ظنّوا أنَّ ثرواتهم (أغنياء) تجعلهم في مقام الندّيَّة مع الخالق. وصف الله بـ البخل أو الفقر هو قمَّة الوقاحة وعدم التأدّب، وهو ما يسمّيه المفسّرون الجرأة على الله، وهي جناية تستوجب اللعن (وهو الطرد من مقام التمكين والرحمة).

### ٤-قتل الأنبياء عليهم السلام:

لم يكن قتل الأنبياء في تاريخ بني إسرائيل مجرّد حوادث عابرة، بل كان سلوكًا منهجيًّا للتخلّص من سلطة الوحي التي تقيّد أهواءهم الماديَّة، الآيات القرآنيَّة تدلّ على أنّ هذا السلوك لم يكن عابرًا أو تصرّف فردي، بل كان عادة عندهم، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ**

١ - محمد العياشي: تفسير العياشي، ج١، ص٣٣٠.

٢ - ينظر: الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان، ج٣، ص٣٣٩.

**إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلَاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾** [المائدة: ٧٠]، وقال تعالى: **﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾** [البقرة: ٨٧]، استخدم القرآن الفعل المضارع «تقتلون» ليدلّ على الاستمرار والاعتياد على هذا الجرم، فإنَّها « كالصفة اللازمة لهم»[١]، وقال بعض المفسّرين، إنّ هذا الوصف «خاص بأجيال اليهود الذين اجترموا هذه الجريمة العظيمة سواء في ذلك من باشر القتل وأمر به أم من سكت عنه ولم ينصر الأنبياء»[٢]. والجناية هنا ليست قتلاً لشخص النبي فحسب، بل هي محاولة لـ قتل المنهج الذي يمثّله. إنَّ الأُمَّة التي تقتل صمَّام أمانها الروحي والقيادي هي أُمَّة تنتحر حضاريًا، ما يستوجب سُنَّة الاستبدال لإنقاذ الرسالة ببعثها في أُمَّة أخرى تحترم قدسيَّة الدماء والوحي.

### ٥-تحريف الكلم وكتمان البيّنات:

بعد أن فشلوا في تغييب المنهج بالقتل، لجأوا إلى تطويعه عبر التحريف، ليتوافق الدين مع مصالح الطبقة المُمكّنة، ومن ذلك التحريف اللفظي والمعنوي: قال تعالى: **﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾** [النساء: ٤٦] أي «يبدلون كلمات الله و أحكامه عن مواضعها»[٣].

فالتحريف هنا هو خيانة أمانة البلاغ. لقد حوّلوا التوراة من نور وهدى إلى أداة تبرير لآثامهم. في العرف الأكاديمي، هذا يسمى تزوير المرجعيَّة؛ وعندما تُزور الأُمّة مرجعيّتها، تفقد صلتها بالسماء، وتصبح سيادتها سيادة باطلة قانونًا وسُننًا..

فعلى الرغم من معرفتهم بصفات النبي ﷺ لكنّهم كتموا تلك الصفات ليقينهم بظهوره ومعرفتهم بصفاته، لكن الاستكبار العرقي دفعهم للإنكار.

---

١ - محمد النيشابوري: إيجاز البيان، ج١، ص١١٤.

٢ - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج١، ص٥١٣.

٣ - الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٣، ص٨٥.

**٦-نقض المواثيق:**

المواثيق هي العقد الاجتماعي بين الله وبين أُمَّة التمكين، ونقضها يعني فسخ ذلك العقد، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [المائدة: ١٣]، يقول (الشيخ الطوسي) في بيان المراد في هذه الآية: «المعني بالآية تسلية النبي ﷺ فقال اللَّه له: لا تعجبن من هؤلاء اليهود الذين همّوا أن يبسطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك، ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم، وغدروا بك، فإنّ ذلك من عادتهم، وعادات أسلافهم؛ لأنيّ أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى على طاعتي، وبعثت منهم اثني عشر نقيبًا، فنقضوا ميثاقي، ونكثوا عهدي، فلعنهم بنقضهم ميثاقهم...والهاء والميم كنايتان عن بني إسرائيل، واللعن هو الطرد للسخط على العبد، وهو الإبعاد عن رحمة اللَّه على جهة العقوبة»[1]، والربط بين النقض واللعنة ربط شرطي؛ حيث إنَّ اللعنة في السياق السياسي القرآني تعني الطرد من دائرة التوفيق والتمكين. لقد أخذ الله عليهم المواثيق الغليظة (ورفع فوقهم الطور)، لكن الفتنة بالمادّة كانت أقوى من الالتزام بالميثاق. فكأنّ (بني إسرائيل) ارتكبوا مثلث الإبادة الحضاريَّة:

أ. إبادة الأشخاص (قتل الأنبياء).

ب. إبادة النصوص (التحريف).

ج. إبادة الالتزام (نقض المواثيق).

هذا العدوان الثلاثي جعل بقاءهم في مقام التمكين مستحيلاً؛ لأنّهم تحوّلوا من شهداء على الناس إلى جناة على الحق، فكان لا بد من بزوغ فجر أُمّة جديدة ترث هذا المنهج وتحافظ عليه.

١ - محمد بن الحسن الطوسي: تفسير التبيان، ج٣، ص٤٦٨.

## خامسًا: الدروس السُننيَّة للأُمَّة الإسلاميَّة في ضوء التجربة الإسرائيليَّة:

إنّ القرآن الكريم حين استفاض في ذكر تفاصيل التجربة الإسرائيليَّة، لم يكن ذلك لمجرّد السرد القصصي، بل لإرساء قاعدة (وحدة السُنن). فالأسباب التي أدّت إلى استبدال بني إسرائيل هي ذاتها التي قد تؤدّي إلى تعثّر التمكين الإسلامي إذا ما تكرّرت المقدّمات، وسيحاول البحث باختصار بيان أهمّ الدروس التي يجب أن تفيد منها الأُمّة الإسلاميَّة؛ لئلا تُستبدل بغيرها، وسيذكر البحث ثلاث دروس بما يتّسع له البحث:

### ١-الحذر من فتنة التفضيل المشروط:

وقع بنو إسرائيل في وهم أنّهم (شعب الله المختار) اختيارًا لا رجعة فيه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ * مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ * وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الدخان: ٣٠-٣٢]، وهو ما أورثهم التحلّل من المسؤوليَّة الخُلُقيَّة. والدرس للأُمّة الإسلاميَّة هو أنّ (الخيريَّة) في قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، مشروطة بـ (تأمرون، وتنهون، وتؤمنون). إنّ غياب هذه الأركان الثلاثة تُسلب منها الخيريَّة كما سُلبت من بني إسرائيل حين نُهوا فلم ينتهوا، لذا يقول صاحب تفسير المنار: «الظاهر عندي أنّ تعليل الخيريَّة بما ذكر هنا ليس لأنّه كلّ السبب فى كون هذه الأمّة خير أُمّة أخرجت للناس بل لأنّ ما كانت به خير أمّة لا يحفظ ولا يدوم إلا بإقامة هذه الأصول الثلاثة، ولذلك اشترط على هذه الأُمّة أن يكون من غرضها فى الدفاع عن نفسها، وحفظ وجودها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كأنّها لولا ذلك لا تكون مستحقّة للبقاء فى الأرض. وأكّد الأمر بهذه الفريضة في آيات هذه السورة بما لم يعرف له نظير فى كتاب من الكتب السابقة، ولم تقم به أُمّة من الأُمم على هذا الوجه»[1]، ومثله ما ذكره (الحائري) (ت:١٣٤٠هـ)، بقوله:

١ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج٤، ص٦٣.

«معناه صرتم خير أمّة لكونكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وإيمانكم باللّه. فتصير هذه الخصال على هذا المعنى الأخير شرطًا في كونهم خيرًا. و قد روي عن بعض الصحابة أنّه قال: من أراد أن يكون خيرها فليؤدّ شرط اللّه فيه من الإيمان باللّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. و ذكر الحكم مقرونًا بالوصف المناسب للحكم مشعر بالعلّيّة»[1]، فلا يظنّ أحد بأنّ له التمكين المطلق غير المشروط.

### ٢-تحريف الكلم عن مواضعه

يُمثّل التحريف المعنوي ذروة الانحراف في التعامل مع المرجعيَّة؛ فبينما يستهدف التحريف اللفظي مبنى النص، يستهدف التحريف المعنوي سلطان النص وهيمنته، إنّ بني إسرائيل لم يعمدوا دومًا إلى شطب الكلمات، بل عمدوا إلى تجميد فاعليَّة النص عبر إعادة تأويله ليتصالح مع انحرافاتهم المصلحيَّة والاجتماعيَّة.

ففي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ...﴾ [النساء: ٤٦]، نجد إشارة بليغة إلى أنّ الكلم في أصله له مواضعه (مقاصد، غايات، وسياقات)، لكنّهم "استحلذوا ما حرّم اللّه تعالى عليهم ولم يعملوا به، فكان ذلك تغيير الكلم عن مواضعه"[2] أي: «يقلبونه عن معانيه»[3]، و«قيل المراد بالتحريف إلقاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى الباطل»[4].

والتحريف هنا هو عمليَّة إزاحة لهذه المواضع «بسوء فهم وليس تبديلاً لألفاظ التوراة»[5]،

١ - علي الحائري: مقتنيات الدرر، ج٢، ص٢٤٩.
٢ - نصر السمرقندي: بحر العلوم، ج١، ص ٣٧٥.
٣ - محمد بن الحسن الطوسي: تفسير التبيان، ج٥، ص٢٠٢.
٤ - علي الخازن: لباب التأويل في معاني التنـزيل، ج١، ص٣٨٦
٥ - محمد رشيد رضا: التحرير والتنوير، ج٢٧، ص ٥٤.

بحيث يبقى اللفظ قائمًا لكنّه يُجرّد من وظيفته الآمرة والناهية، ليتحوّل إلى غطاءٍ يشرعن الهوى.

وهذا المسلك هو الذي عجّل بسُنَّة الاستبدال فيهم؛ لأنّ الوحي إذا فقد قدرته على التغيير والتقويم، زالت جدواه الحضاريَّة، وإنّ الدرس السُنني للأُمّة الإسلاميَّة يكمن في الحذر من الوقوع في فخّ هذا التأويل والتحريف، وتتجلّى خطورة هذا المسلك في عصرنا الحالي من خلال عدة مظاهر: (تسييل القيم) بأن عمليَّة تحويل الثوابت الخُلُقيَّة والتشريعيَّة إلى مفاهيم هلاميَّة قابلة للتفاوض، لإرضاء الضغوط الحضاريَّة المهيمنة.

وكذا (أنسنة الوحي) و(الحداثة المنفلتة) التي تحاول إخضاع النص الإلهي المطلق للقيم الغربيَّة النسبيَّة، وهي إعادة إنتاج حرفيَّة للمسلك الإسرائيلي. فعندما يُقرأ القرآن بعيون ماديَّة بحتة لإسقاط الأحكام التي لا تتوافق مع النمط العالمي، نكون أمام عمليَّة إزاحة للمرجعيَّة من (مركزيَّة الوحي) إلى (مركزيَّة الإنسان الغربي).

فتصبح القطعيَّة المرجعيَّة للأُمّة وتتحوّل نصوصها إلى عجينة تشكّلها الأهواء السياسيَّة أو الضغوط الثقافيَّة، فتقع التبعيَّة المعرفيَّة بدلًا من أن يكون القرآن مهيمنًا على الواقع، يصبح مُهيمنًا عليه ومسخَّرًا لتبريره، وبهذا يتكرّر المسلك الإسرائيلي، فتفقد صلاحيتها الوظيفيَّة، وتدخل في دائرة الاستبدال الحضاري.

### ٣- الإشراب القلبي وعوائق التمكين:

إنّ التمكين في الأرض ليس مجرّد غلبة عسكريَّة أو وفرة ماديَّة، بل هو استحقاق روحي وقيمي في المقام الأول. وتعدّ ظاهرة الإشراب القلبي التي وصفها القرآن الكريم في قصّة بني إسرائيل العائق الأكبر الذي يحول دون استمرار الاستخلاف، قال تعالى: ﴿**وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٩٣]، فلم يستعمل القرآن لفظ (أحبّوا) أو (عبدوا) فحسب بل اختار (أُشْرِبُوا) ليدلّل على نفاذ

المحبّة والتعلق إلى أعماق النفس كما يمتصّ الثوب الصبغ. هذا التداخل بين القلب والعجل (المادة) هو قمة الاستلاب النفسي.

إنّ بني إسرائيل نالوا الحريَّة الجسديَّة بخروجهم من مصر، لكنّهم ظلّوا عبيدًا على المستوى النفسي لثقافة المستعمر، "فإنّه كان لهذا الحيوان منزلة عظيمة عند المصريين"[1]، وإنّ الأُمّة التي تُشرب في قلبها ثقافة أعدائها وقيمهم الماديَّة تفقد السيادة الداخليَّة، ومن فقد السيادة على قلبه، لا يمكنه ممارسة السيادة على الأرض.

وإنّ العجل في واقعنا ليس وثنًا صامتًا، بل هو منظومات تُشربها القلوب فتعطل فاعليَّة الأُمّة، فالتعلّق بالدنيا وحبها هي العجل الذي حذّر منه القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وكذا ماورد عن المعصومين عليهم السلام وأنّ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[2]؛ حيث تتغلغل الماديَّة في القلوب حتى تصبح الأُمّة غثاء كغثاء السيل. هذا الإشراب هو العائق الأول أمام التضحية والبناء.

إنّ الانبهار المفرط بالنموذج الغربي المادي (العجل الذهبي المعاصر) الذي له خوار (ضجيج إعلامي وتقني)، مما يجعل الأُمّة المسلمة تابعة لا متبوعة، ومقلِّدة لا مبدعة، ويفقدها مكانتها وتمكينها، فالتمكين لا يتحقّق لمن يرى نفسه قزمًا أمام الآخر. والحذر الواجب هو من الاستلاب الثقافي الذي يجعل المسلم يظنّ أنّ التقدّم التقني مرهون بالانحلال القيمي.

فإنّ التمكين الحقيقي هو امتلاك اليد العُليا في الصناعة والتقنيَّة، مع بقاء القلب معلّقًا بالسماء. فالمادة عند المسلم يجب أن تكون خادمًا لا مخدومًا. وقد ربط القرآن الكريم بين الإشراب القلبي وبين سقوط الأُمّة واستبدالها عبر مسارين:

---

١ - عبد الأعلى السبزواري: مواهب الرحمن، ج١، ص٣٣٢.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: أُصول الكافي، ج٢، ص٢٣٩.

**أ- فساد التصوّر العقدي:**

قال تعالى: ﴿**قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٩٣]، أي أنّ الإيمان المدّعى مع قلب مُشرب بحب الباطل هو إيمان كاذب لا يثمر تمكينًا، بل يثمر طردًا من رحمة الله ووراثة الأرض.

**ب- قسوة القلب والجمود:**

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ [البقرة: ٧٤]، يؤدّي الإشراب إلى القسوة، والقسوة تؤدّي إلى العجز عن تلقي الوحي وتطبيقه، ما يجعل الأُمّة عبئًا على المنهج الإلهي بدلاً من أن تكون حاملة له، فيقع الاستبدال: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم**﴾ [محمد: ٣٨]، فلا أحد بمنأى من سُنَّة الاستبدال في حال فشل في شروط التمكين.

## خاتمة

بعد استعراض فقه السُنن التاريخيَّة وتحليل النموذج الإسرائيلي بوصفه حالة دراسيَّة قرآنيَّة، يخلص البحث إلى:

- أنّ السنن الإلهيَّة في القرآن الكريم ليست مجرّد قصص للعبرة، بل هي قوانين صارمة تمتاز بالثبات والاطراد؛ فهي لا تجامل جنسًا ولا تحابي نسبًا، ومن سار على درب النهوض تمكّن، ومن سلك مسالك السقوط استُبدل.
- أنّ أسس تمكين بني إسرائيل كانت قائمة على الاستحقاق الوظيفي لحمل الرسالة، ولم يكن تفضيلاً ذاتيًا. ومظاهر تمكينهم كانت فرصة اختباريَّة لعمران الأرض بالحق، لا صكًّا مفتوحًا للسيادة بلا ضوابط.
- أنّ فتنة التمكين أدّت ببني إسرائيل إلى منزلقات خطيرة، أهمّها الإشراب القلبي

للماديَّة العجل، وتحريف الكلم، لتطويع النصّ للهوى، ما جعل الاستبدال ضرورة كونيَّة لتطهير مقام الاستخلاف.

- أنّ العائق الأكبر أمام تمكين الأُمّة الإسلاميَّة اليوم هو العدو الإسرائيليّ في تعظيم المادّة والتبعيَّة النفسيَّة للنموذج الغالب، وهو ما وصفه القرآن بالإشراب؛ فالقلب الذي يمتلئ بـ عجول العصر يفقد فاعليَّة القيادة الروحيَّة.
- من أهم الدروس المستفادة أنّ الأُمّة الإسلاميَّة يجب أن تحذر من فخّ الاستعلاء الفارغ بالانتساب للإسلام دون تمثيل قيمه، فالله قد نزع رداء التفضيل عن بني إسرائيل حين جعلوا الدين عرقًا، وسيفعل ذلك بكل أُمّة تحوّل الرسالة إلى أماني دون عمل.
- أنّ نجاة الأمة من سُنَّة الاستبدال مرهونة بـ اليقظة السُننيَّة؛ وهي الجمع بين سلامة المنهج عدم التحريف، وطهارة القلب عدم الإشراب، وقوة الأخذ بالأسباب العلم والعمل، ليكون تمكينها تمكين هداية ورحمة للعالمين.

## المصادر والمراجع:


- القرآن الكريم
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة، دار الدعوة، القاهرة، لا ط، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- إبراهيم الأبياري (ت: ١٤١٤هـ): الموسوعة القرآنيَّة، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- أحمد البهادلي: مفتاح الوصول، الناشر: مؤلف الكتاب، النجف الأشرف لا ط، لا ت.
- أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أحمد مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ): تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، ط١، لا ت.
- إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيَّة)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الحسين بن عبد الصمد العاملي (ت: ٩٨٤هـ)، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام، قم، لا ط، ١٤٠١هـ.
- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشاميَّة - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ): التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم)، دار الكتاب الثقافي، إربد، ط١، ١٤٢٨هـ.
- عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت: ١٤١٤هـ): مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مكتب سماحة آيَّة الله العظمى السبزواري، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- عبد الرحمن الغروي: الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت (ع)، مطبعة باقري،

قم، ط١، ١٤١٩هـ.
- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: ٤٧١هـ): التعريفات، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت: ١١١٢هـ): نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مطبعة العلميَّة، قم، ط٤، ١٤١٥هـ.
- عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم، دمشق، لا ط، ١٤١٥هـ.
- علي بن محمد بن إبراهيم الخازن (ت: ٧٤١هـ): لباب التأويل في معاني التنـزيل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- علي الحائري الطهراني (ت: ١٣٤٠هـ): مقتنيات الدرر، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ط١، ١٣٧٨هـ.
- فخر الدين بن محمد علي الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ): مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، المكتبة المرتضويَّة، طهران، ط٣، ١٣٧٥هـ.
- الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، تصحيح: فضل الله اليزدي وهاشم الرسولي، ناصر خسرو، طهران، ط٣، ١٤١٣هـ.
- المبارك بن محمد بن الأثير (ت: ٦٠٦هـ): النهايَّة في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلميَّة، بيروت، لا ط، ١٣٩٩هـ.
- محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ): المدرسة القرآنيَّة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١.

- محمد باقر المجلسي (ت: ١١١٠هـ): بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- محمد بن أحمد، الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القرآن، تصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.
- محمد بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ): البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، مصر، ط١، ١٤١٤هـ.
- محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ): القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.
- محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ): أصول الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ.
- محمد تقي الحكيم (ت: ١٤٢٣هـ): الأصول العامة للفقه المقارن، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- محمد تقي المدرسي (معاصر): من هدى القرآن، دار محبي الحسين، طهران، ط١، ١٤١٩هـ.

- محمد جواد مغنيَّة (ت: ١٤٠٠هـ): التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ): الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.
- محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ): تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- محمد علي الصابوني (ت: ١٤٤٢هـ)، صفوة التفاسير، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- محمد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهدايَّة، الكويت، لا ط، ١٣٨٥هـ.
- محمد نهاوندي (ت: ١٣٧١هـ): نفحات الرحمن في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ترجمة: محمد علي آذرشب، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدسة، ط١، ١٤٢١هـ.
- نصر بن محمد السمرقندي (ت: ٣٩٥هـ): بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، محقق: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.